الطريق

كان الشفق الملون
يأخذ في تأدية طقوسه،
ناشرا الشمس الأخيرة
بين فروع السحب،
يمتد متحلقا عبر السماء،
كما لو كان يغذي استعراضه
بما كان يطفئه من الأرض
– الأصفر الشاحب لا يزال بين البنّيّات،
العمق الرمادي للروابي وراء الكتلة المبرقشة الصناعية،
تشابكه الذي لسفينة عملاقة
وبعد ذلك الأحمر القاني لمحطة الوقود الليلية.
أضأت الأنوار الجانبية لسيارتي، كان يتحرك
عبر قوس المنحنيات، في المنعرج بين الطرق.
الأضواء الجانبية جد ضعيفة
وبريقها خافت بحيث إنه ينسى كثيرا عند ظهوره،
ساكنة تماما، ملحة في إصرارها.
أضأت حينئذ
أنوار السيارة العالية،
وها أنا أراني في البيت.

تقلب السائق المجاور،
القيادة غير المتوقعة والإيماءة الجافة،
فرملة قوية عند رؤيته للضفة،
انفجار الشمس في العيون،
عبور المنحنى بسرعة زائدة... قرارات
صغيرة، درس في الخطر يضطلع به في العادة،
لا أحد يتخيل بعد ذلك أنه قد نجا من لا شيء.
في أزمنة بعيدة، أثمر الخطر عن ميثولوجيا
استحالت إلى مثال. والآن خفاء الأخطار المبتذلة
يسيل فوق ما هو فجائي، يشحم التروس التي تطقطق
ويبقى طليقا مفتتا. دون تفكير.
هو فقط وهمي
كما يوجد الفكر.

عندما لاحظت أن الرجل قد تأخر في تزويدي بالوقود،
فها هو سمعه قد تضاعف أربع مرات من طلبي للبنزين
– فكرت: لا يهم.
عند العودة لمقود السيارة، خطر ببالي
الصديق الذي هوجم، وقد كبلوه في بيته،
كانت هي تنزف من صدغها، ولحظات من الشك الكثير.
يتسلل الشتاء إلى الخريف
في شكل مظلم، مضاعفا الحدود غير المرئية،
ستارة من الماء وجسد من الليل.

هنا. عند الخروج إلى الشارع،
عابرا الساحة دون عجلة،
استراحة غريبة.
أمنح لحظة لكل فكرة مبتذلة:
الملابس المنشورة في الشرفة الصغيرة،
وسوط الريح؛ برج المراقبة
فوق أشجار الأكاسيا، باتجاه تلال الوادي؛
السماء السوداء من جراء المطر؛
الهواء لا يزال نقيا؛
برج الأجراس خلف الدار الهرمة
حيث عاش الشاعر اليهودي؛
الشرطي متين العود في مبنى البلدية...
وبعد ذلك لا شيء، العودة للطريق من جديد
بالجريدة في يدي.
سأصحو مبكرا غدا وسأعاود دخول السيارة.
أراها الآن واقفة وغطاء محركها تغطيه
الأوراق الجافة،
تقريبا مثل أوفيليا.